Issn:2437-0967 مجلة اللغة الوظيفية
المجلد8،العدد2
2021

إشكاليات نقد النقد الأدبي
(قراءة في حدود الماهية وطبيعة المنهج)

Problimatics of criticising literary criticism
(Reading in the limits of concepts and the curriculum nature)

د: دوالي بلخير [*](1)

كلية الآداب واللغات بجامعة يحيى فارس بالمدية (الجزائر)

douali_b@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:2021/07/22	تاريخ القبول:2021/11/13	تاريخ النشر:2021/12/28

الملخص

ساهم الانقلاب المعرفي الذي مس المنظومة النقدية الأدبية المعاصرة بتأثير من فلسفة ما بعد الحداثة وإستراتيجيتها التفكيكية في ظهور مجال نقد النقد الأدبي بصيغته الابستيمولوجية الحداثية، وعليه جاءت هذه الرؤية التحليلية ساعية قدر المستطاع لرفع اللبس النقدي والمنهجي حول خصوصية هذا المجال الفكري المتجدد. والإحاطة المعرفية بماهيته مفهوما ومصطلحا ومنهجا.

لقد استندت هذه الدراسة على إستراتيجية قراءة قائمة على تحديد مفهوم نقد النقد الأدبي وفق الوعي المعرفي والنقدي المعاصر، ومنه مقاربة منظومته الاصطلاحية في منجزيه التنظيري والتطبيقي، دون تجاوز إشكالية المنهج المعتد به في قراءة الخطاب النقدي القائم على حدود التعدد والاختلاف والنسبية

الكلمات المفتاحية: إشكاليات، نقد النقد الأدبي، حدود الماهية، طبيعة المنهج.

Abstract:

The cognitive reversal that touched the contemporary literary monetary system with the influence of postmodern philosophy and its dissociative strategy contributed to the emergence of criticising literary criticism as a modernist epistemological form, and therefore this analytical vision sought as much as possible to raise the critical and systematic confusion

[*] د: دوالي بلخير

about the specificity of this renewed intellectual field. Knowledge of what it is understandable, terminology and method.

This study was based on a reading strategy of defining the concept of criticisinf literary criticism according to contemporary cognitive and monetary awareness, including an approach to its terminological system in its theoretical and applied achievements, without going beyond the problem of the approach to reading critical discourse based on the limits of pluralism, difference and relativity.

Keywords: Problimatics. criticising literary criticism. limits of concepts.curriculum nature.

1. مقدمة:

عرف النقد الأدبي المعاصر عبر مسار تشكله عددا من المحطات النظرية والمنهجية التي عكست توجهاته الابستيمولوجية وهو ما جعله يبتعد عن الاكتفاء بمرجعية نقدية واحدة، فقد انفتح على خلفيات معرفية ونقدية مختلفة أدت إلى تنوع مسالكه وأهدافه في قراءة النصوص الأدبية وتحليلها وكشف جوهرها الإبداعي، كما ساهمت في إقامة جسور معرفية بين القارئ وما تتضمنه تلك الأعمال الأدبية من سمات فنية وجمالية، من منطلق أن التجربة النقدية تجربة قراءة واكتشاف تطرح ثمارها على المتلقي للاسترشاد بكشوفها لتعميق قراءته الخاصة للعمل الأدبي.

فقد أدت الثورة المعرفية التي شهدها النقد الأدبي المعاصر والتي عكستها منظومة مناهجه المختلفة السياقية والنصية والتأويلية إلى ظهور خطاب نقدي جعل من النقد الأدبي نفسه موضوعا للتفكير والتحليل والمساءلة، ويعود مصدر هذا التحول النقدي إلى جملة الانقلابات التي عصفت بعديد المشاريع المعرفية بعد سيادة فكر ما بعد الحداثة المستندة إلى فلسفة إعادة النظر في الكثير من المسلمات والمقولات الفكرية المركزية. وهي التغيرات التي أسهمت في ظهور خطاب نقد النقد الأدبي الذي سعت التنظيرات المعاصرة الارتقاء به إلى درجة الكيان المعرفي النوعي ضمن السياق النقدي بعد أن استمد أهميته المعرفية وخصوصيته النقدية من الوعي المتنامي بإشكاليات النقد وأبعاده والطموح المعرفي نحو كشف معطياته وقضاياه وتساؤلاته.

وعليه جاءت هذه القراءة سعيا قدر المستطاع للإحاطة بأهم القضايا الفكرية التي ترتبط بتحديد موضوعي علمي لماهية نقد النقد الأدبي مفهوما ومصطلحا ومحاولة توضيح حدوده المعرفية وآليات قراءته ورسم طبيعة منهجه الابستيمولوجي الخاص به قياسا إلى مناهج النقد الأدبي.

2. إشكالية الماهية :

يمثل نقد النقد رافدا فكريا أساسيا من روافد الحركة النقدية المعاصرة فاكتسب مكانته المعرفية من مقاربة الخطاب النقدي على ضوء تطورات وانجازات لا يستهان بها تحت رهان القراءة وإعادة القراءة مع ما صنعته فرضية انفتاح النص ومنحى تفكيكه في سياق تفعيل التأويلية الأدبية من خلال أفعال التفسير والتأويل مع الحرص على " تأطير النصوص النقدية ضمن رؤية التعدد والاختلاف " [1]، بما يسمح

بتوسع أفق القراءة وتعدد التأويلات وفق اختيارات القارئ وقدرته على التحليل والتفسير، ومن ثم كان من المناسب معرفيا الوقوف عند الدلالات والأبعاد التي تشير إليها حدود ماهيته من حيث بنيته المفهومية والاصطلاحية وطبيعة المنهج الذي يستند إليه في ضبط عملية التحليل التي ينشدها حتى تتضح خصوصية قراءته وطبيعة تفكيره ومقاصده مقارنة بالخطاب النقدي .

يطلق نقد النقد على المجال المعرفي الذي يثير إشكالات فكرية تكشف عن صيرورة النقد الأدبي وتحولاته وطبيعة إجراءاته ولغته، فأصبح بفضلها صورة عن تعدد أصوات النقد واتساع دائرة مساءلة القراءة.وهي صورة فرضتها طبيعة النقد ومنعطفاته، الأمر الذي جعل " معرفة فلسفة النقد وآلياته ومقاصده مشغل نقد النقد ومحوره" [2] ، وهو المشغل المعرفي الذي فرض على مسارات الفكر تأسيس المجال المعرفي لهذا الخطاب النقدي من خلال مبحث مخصوص مستقل عن النقد الأدبي وظيفته الأساسية تتبع خصوصية المنجز النقدي وتحليله والتساؤل حول استراتيجياته ومرجعياته.

يسعي نقد النقد الأدبي لتطوير ممارسة النقد الأدبي عن طريق استغلال أدواته ومساءلة إنجازه والوعي بموضوعه في إطار الخلفية الفكرية التي يستند إليها في قراءة النص الأدبي وكشف مضمراته الفنية، إذ تتحدد الوضعية الفكرية لنقد النقد حينما نجده يصوغ لغة واصفة ممتلكة " للأسس نظرية ومنهجية واصطلاحية يقوى بها على نسج أنساقه ووضع سننه الخاصة " [3] تأسيسا لهذا الكيان النقدي الذي فتح أفاقا معرفية جديدة في الدراسات النقدية المعاصرة.

يعد نقد النقد من المصطلحات الأكثر إثارة إذ اختلف حوله النقاد والدارسون نظرا لتعدد مفاهيمه ومدلولاته من ناقد إلى آخر بل نجد أن المعاني التي قدمت لمفهومه متداخلة فأثير حول مفهومه نقاش علمي مستفيض، فقد حدد مفهومه عدد من النقاد والباحثين لكن رؤاهم المعرفية اتسمت في الغالب بالإيجاز وعدم الوضوح المفهومي والمصطلحي بسبب وقوع هذه التعريفات تحت تأثير حداثة هذا المجال الفكري في الحقل النقدي، فمنهم من يراه " تعبيرا عن مآخذ النقاد المنهجية"[4]، وهي الرؤية التي شاع استعمالها في عدد كبير من التصورات النقدية الحديثة والمعاصرة.

إذ قلما نجده يتسامى إلى البحث في أصول المعرفة النقدية على نحو منهجي عميق، ففهم في بعض مسارات تحديد ماهيته بصيغته الانطباعية التي جعلته نقدا يسعى " لاستهجان النقد والإنقاص من قيمته ومعارضته " [5] ، بينما حدده البعض الآخر بحسب أشكال ممارسته النقدية وسماتها التي تتغير باختلاف المعطى النقدي الذي يتم التركيز عليه وفق مسلك تحليل تتعدد اتجاهاته من قراءة " النصوص النقدية إلى النظريات النقدية إلى تقييم تجربة نقدية لناقد محدد "[6]، في مستوى تعريفي أقرب إلى تحديد مفهومه وفق رؤية تجديدية سعت لتجاوز التصور التقليدي القائم بالأساس على الحكم القيمي المتضمن لفكر الانتقاد

والمفاضلة، نظر إلى نقد النقد باعتباره خطابا نقديا هدفه تحليل « الكتب النقدية وبيان منهجها النقدي وتقويم مسارها النظري والتطبيقي »[7].

لقد سعى المشتغلون بحقل نقد النقد إلى تمثل المفهوم الاصطلاحي في نطاق يبدو من أول وهلة غير محسوم لكنه يكرس في جوهره أسسا علمية ومنهجية واضحة تحدد رؤيته وطبيعة قراءته، إذ يرى الناقد جابر عصفور أن نقد النقد نشاط معرفي ينصرف إلى مراجعة الأقوال النقدية كاشفا " سلامة مبادئها النظرية، وأدواتها التحليلية وإجراءاتها التفسيرية " [8] ، من منطلق أن هذا الكيان المعرفي لا يستطيع أن يتجنب الإطار النظري للخطاب النقدي لأنه امتلك طبيعته المنهجية ذات الخلفية التحليلية من البحث في " مبادئ النقد ولغته الاصطلاحية وآلياته الإجرائية " [9]، وبالتالي ماانفك السؤال قائما بشأن مفهوم نقد النقد وحصر حدوده وفك الالتباس الحاصل بينه وبين النقد الأدبي الذي توسعت مساحة معاينته وتحليله ليكون محط اهتمام قراءة نقد النقد التي تعد " حفرا في كيان النص النقدي " [10] تكريسا للصلة المعرفية المتينة التي تجمعهما.

إذ أنهما يتوسلان نفس آليات الاحتجاج والتدليل التي تحقق مقصدية الإقناع ،كما أن نقد النقد لا يسلم من أثر الحركة النقدية بما حققته من رؤى منهجية ونظرية وإجرائية فهما يصدران عن مخزون ثقافي ومعرفي مشترك وعن ثوابت نظرية متشابهة، لكن مع ذلك فدوران النقد على ذاته بالمراجعة والتقويم يستوجب بالضرورة تطورا في خصوصية الرؤية النقدية في مستندها النظري والمنهجي، ما أدى بنقد النقد ليكون مرحلة " يتأمل فيها النقد نفسه ويصبح علامة من علامات وصوله إلى مرحلة متقدمة من الإبداع المنهجي"[11].

إن اشتغال نقد النقد بالنقد الأدبي وقيامهما على منظومات منهجية واصطلاحية مشتركة لم يمنع تأسيس قراءة مخصوصة لنقد النقد تقع على بعد مسافة نظرية وإجرائية من النقد الأدبي تخول لها مراجعته وتصحيح مساره تكريسا لفكرة أن التساؤل العلمي عن النقد الأدبي أمر ضروري لفهم نقد النقد ومقاصده، وهو ما يسنده معرفيا عدم " التماهي بينهما لا في الموضوع ولا في الأسس ولا في الأدوات الإجرائية والمنهجية [12]، فقراءة نقد النقد كممارسة معرفية وإجرائية ونشاط فكري جعلته خطابا نقديا واصفا يتأمل النقد الأدبي ويجعله مدار اشتغاله فيرتهن وجوده ككيان تحليلي بوجود النقد الأدبي الأمر الذي فرض ضرورة التفريق العلمي بينهما وهو ما كشفته الانعطافات الكبرى التي عرفها الفكر النقدي في مسار تطوره المتسارع، فكانت طبيعة موضوع كل منهما من الدعائم المعرفية التي ميزت طبيعة قراءتهما، إذ يركز النقد الأدبي على الإبداعات الأدبية، بينما يعنى نقد النقد بالمتون النقدية" فموضوع النقد الأدبي هو دراسة الأعمال الأدبية،أما موضوع نقد النقد فيتضمن دراسة النقد الأدبي " [13] ، وهو ما ينسجم

ابستيمولوجيا مع فكرة أنه لكل علم أو فرع معرفي موضوعا يختص بدراسته وهو الذي ينطبق على هذين المجالين الفكريين فلكل منهما موضوعه المخصوص الذي يميزه عن غيره .

لقد ساهم منطق تاريخ العلم الذي يشهد على استقلالية فروع علمية من رحم فروع علمية أخرى في تأكيد استقلالية نقد النقد عن النقد الأدبي الذي يرتكز موضوعه على " منطلقات فكرية ومنهجية تحتاج إلى إعادة القراءة والتأمل" [14] ، وهي مقصدية نقد النقد ووظيفته لأن مراجعة ناقد النقد مبادئ النقد وممارساته يستوجب علمه بجوهر الفعالية النقدية وخصوصيتها، وبالتالي فقد ساهم التميز بين هذين المجالين الفكريين في تحفيز النقاد والباحثين على ضرورة تأكيد استقلالهما واختلافهما من حيث الآليات الإجرائية والرؤية المنهجية والأهداف المعرفية، ما يسوغ النظر إلى نقد النقد كإعادة قراءة لما " تتضمنه القراءة النقدية المنتجة وفي الوقت نفسه إنتاج قراءة نقدية مغايرة " [15].

أما في السياق المعرفي الغربي فالتطور الكبير الذي عرفته الكتابة النقدية على مستوى الإبداع التنظيري والمنجز التطبيقي جعل نقد النقد قراءة " تحليلية ضرورية لكينونة النقد الأدبي "[16] هدفها الحفر المعرفي في هذا التراكم النقدي وكشف خصوصياته الفكرية والمنهجية، وبالتالي فقد فهم نقد النقد في المنظور الغربي باعتباره إحدى طرق دراسة النقد وفك رموزه ومفاهيمه والسعي لتحديد عدد من القيم الفنية التي تستند إليها المناهج النقدية للكشف عن الجوهر الإبداعي للنصوص الأدبية، فهو " مبحث نقدي يوضح بموضوعية حدود معرفة النقد الأدبي"[17] ، فلم يسعى هذا المجال للتركيز على النقائص المنهجية للنقد الأدبي وعلى ضحالته الفكرية والمعرفية والنظرية بل اهتم أكثر " بإضاءة أصول المناهج النقدية وتوضح الخلفيات التي تستمد منها مرجعياتها المعرفية والمنهجية " [18] .

تقر طبيعة القراءة التحليلية التي يستند إليها نقد النقد بأنه لكل منهج نقدي قيمته المعرفية الكاملة في التعامل مع النصوص الأدبية وتحليلها وكشف خصوصيتها الفنية، كما تنادي بأنه من حق ناقد النقد أن يبحث في ما أعده المنهج النقدي من مفاهيم وأدوات لجعل " الناقد الذي يطبقه ينجح في مهمته، ومن حقه كذلك فحص عملية التطبيق إن كانت قد سارت في الطريق الصحيح الذي وضعه رواد المنهج "[19]على نحو الدراسة التي أقدم عليها الباحث حميد الحمداني في القسم الثاني من كتابه النقد الروائي والأيديولوجيا تخص قضية تطبيق المنهج الاجتماعي بين التنظير والتطبيق في " المنجز النقدي للناقد أحمد ابراهيم الهواري "[20]حيث قدم رؤية وصفية تحليلية تتبع من خلالها سمة قراءة هذا الناقد مركزا على القرائن المنهجية التي تكشف عن مسار قراءته بين ما تبناه في الشق النظري وبين ما قدمه في القسم التطبيقي.

تعد إشكالية ضبط المصطلح من القضايا النقدية الشائكة التي تقف في طريق أي باحث يسعى لتحديد ماهية نقد النقد من منطلق أن تحديد المصطلح له إستراتيجيته الفكرية في تحديد المفاهيم النقدية وضبط تشتت تصوراتها وإعطائها قيمة معرفية دقيقة، ما يفرض على الباحث النظر إليه باعتباره " مفتاحا للمعرفة العلمية وآلية لإقامة أبنيتها ومدخلا إلى عوالمها وخلاصة للبحث فيها " [21]، لهذا الغرض فقد تعددت المصطلحات المعبرة عن مفهوم نقد النقد بناء على اختلاف رؤى النقاد الفكرية وطبيعة مرجعياتهم النظرية والمنهجية حول قضاياه وإشكالاته.

فقد وظف تودوروف (Todorov) مصطلح (نقد النقد) في عنوان دراسته (نقد النقد رواية تعلم) [22] وهو المصطلح الأكثر شيوعا في الممارسات النقدية الغربية والعربية، وقصد به تتبع ناقد النقد للقراءات النقدية المتعددة الخلفيات المنهجية ومحاورة رؤاها النظرية والمنهجية، بينما يستحضر عبد المالك مرتاض مصطلح " قراءة القراءة " [23] ليشير به إلى فكرة القراءة وإعادة القراءة محاولا بهذا المصطلح الانسجام المعرفي مع قراءة نقد النقد التي تحاول تأمل المنجز النقدي وتحديد ثوابته ومتغيراته، من منطلق فكري يرى أن قراءة القراءة لا بد أن تنظر إلى « الأطر الفكرية التي تؤسس الفعل القرائي » [24]

بينما تبنى الناقد جابر عصفور مصطلح (النقد الشارح) الذي يعبر عن المساءلة الذاتية للنقد الأدبي كفكرة يتحول بها " النقد إلى نقد شارح للأعمال النقدية "[25]، أما الباحث باقر جاسم محمد فقد انتقد توظيف مصطلح نقد النقد للتعبير عن مساءلة النقد لذاته ومراجعة مفاهيمه وإجراءاته تعميقا لممارسته وتطويرها، لأن هذا المصطلح لم يعد وفقه " صالحا لوصف المرحلة الجديدة لاعتبارات معرفية خالصة " [26] من حيث عدم دقته العلمية للتعبير عن مفهومه وعدم تحقيقه مبدأ الاقتصاد اللغوي لأنه متكون من كلمة مكررة،فاقترح بديلا عنه مصطلح (الميتانقد) الذي يشير إلى مفهوم ما وراء النقد

وهو الاختيار الاصطلاحي الذي جعله الناقد إمبرت إنريك أندرسون (Imbert Enrique Anderson) مرادفا كذلك " لمصطلح نقد النقد" [27]، إذ يحيل هذا المصطلح بشكل مباشر إلى خطاب نقدي موضوعه النقد الأدبي ما يساعد من منظور فكري ومنهجي على فك التداخل الحاصل بين المجالين المعرفيين النقد الأدبي ونقد النقد، كما يعطي هذا المصطلح مسألة البعد المفهومي لنقد النقد قالبا اصطلاحيا دقيقا ويمثل درجة عالية من التجريد الفكري الذي ينسجم مع " العناصر المفهومية التي تشكله وتمكنه من خلق تواصل باللغة التي ينتجها مع الموضوع الذي يسعى لمعالجته " [28].فتتبع المصطلح النقدي وفق رؤية نقد النقد هو تجسيد للمفهوم لغويا بما يجعله يحقق إمكانية التداول الخطابي في الساحة الفكرية والنقدية ويسهل في معرفة خلفية الناقد المنهجية من خلال « رصد قدراته المعرفية والإجرائية » [29] التي يستند إليها في قراءة المتن النقدي النظري أو التطبيقي.

3 ـ طبيعة المنهج :

تعد إشكالية المنهج من المسائل الجوهرية التي تأتي في صدارة الطرح الفكري لنقد النقد ومقاصده النقدية التي يجب أن يعينها دارس أي موضوع نقدي يدخل تحت هذا الخطاب النقدي، من منطلق أن تحديد منهج القراءة شرط ضروري لتحقيق أي ممارسة نقدية ذات صيغة موضوعية، إذ يمارس المنهج فاعليته التحليلية من خلال " جهاز اصطلاحي يجعله قادرا على استنطاق الخطابات وقراءتها " [30]، فالمنهج في قراءة نقد النقد هو ما يحيط بالظاهرة النقدية ويستوعب آفاقها من خلال ضبط جهازها المصطلحي والمفاهيمي، إضافة إلى تبني إستراتيجية تحليل قادرة على كشف خصوصية " الخطاب النقدي وتمحيص أدواته ومسلماته المنهجية والمعرفية " [31].

يلاحظ متأمل منهج القراءة التي استند إليها نقد النقد تنوعه وتعدده بسبب وجود عدد من الاعتبارات الفكرية التي وقفت في طريق تحليلات ناقد النقد الأدبي وممارساته منها حداثة هذا المجال المعرفي في المنجز النقدي وانعكاسه على غياب رؤية منهجية راسخة في مسار قراءاته التحليلية، ومنها اختلاف الاختيار المنهجي من دارس لآخر بحسب القناعة المعرفية لكل دارس ووجهته النقدية، وبالتالي فطرائق التحليل كخطوات يتبعها ناقد النقد في قراءة المنجز النقدي تختلف من ممارسة نقدية لأخرى، وهي الاختلافات التي يفرض بعضها " نوع المنهج المتبع، ويفرض بعضها الآخر النوع الأدبي، ويفرض بعضها الأخير فكر الناقد"[32].من منطلق أن نوع المنهج النقدي يحفز ناقد النقد على تبني إستراتيجية تحليل تنسجم من حيث معطياتها التحليلية مع خصوصية المنهج المدروس وطبيعته النقدية .

فالتعامل مع المنهج البنيوي يعني آليا استحضار الوصف والتحليل، بينما يساهم في بعض المرات النص الأدبي بناء على خصوصياته الفنية في جعل الناقد يختار منهجا نقديا يتوافق مع تلك السمات الفنية، فالانحرافات اللغوية مثلا يصلح لتحليلها وكشف سماتها الجمالية الأدوات الإجرائية التي يقدمها المنهج الأسلوبي أكثر من غيره من المناهج الأخرى، في حين قد يفرض ناقد النقد منهجا تحليليا وفق قناعته المعرفية وميوله المنهجي الذي يخضع بالأساس لطبيعة تكوينه الفكري بشرط " تتبعه لملامح المنهج الذي يوظفه الناقد " [33]، مثل ما نجد ملامحه في اشتغال نقد النقد كآلية منهجية تسعى لتحليل النص النقدي وفق قراءة الناقد محمد برادة التي تتبع من خلالها طبيعة الرؤية النقدية عند محمد مندور ومساءلة خصوصياته المنهجية من خلال"إعادة قراءة كتاباته النقدية والفكرية "[34]

لقد اثبت المسار المنهجي لنقد النقد أن بعض المشتغلين حوله لم يتساءلوا عن المنهج الذي يحتكمون إليه في دراستهم النقدية لأنهم ينطلقون من تصور مبدئي مفاده ضرورة إلمام ناقد النقد بخلفيات المناهج النظرية واستراتيجياتها التحليلية والفروق الحاصلة بينها، وهو ما يعكسه " شعورهم الخفي بالتعالي الذي

يجعلهم يعتقدون تلقائيا بأن دراستهم في حل من التقيد بأي منهج نقدي " [35] ، كما خضع منهج نقد النقد من جانب آخر لطبيعة إشكالية ناتجة أساسا عن طبيعة موضوعه (النقد الأدبي) الذي يعد وعيا معرفيا ومنهجيا ونظريا يستحضر عدة مرجعيات فكرية في التعامل مع النصوص الإبداعية، فهو مجال معرفي يتضمن بعدا ثقافيا وخلفية فكرية ويتضمن أيضا بعدا علميا يسعى لامتلاك سمة المنهجية ذات الطبيعة الموضوعية، لذلك ظل " نقد النقد محل جدال لحقول مرجعية ارتبطت به وبموضوعه " [36]، انسجاما مع طبيعة قراءته التي تحاول تأمل مواصفات المنجز النقدي، وهي القراءة التي فهم من خلالها الناقد محمد مفتاح مقصدية نقد النقد بمراجعة التجربة النقدية وإعادة النظر في مرجعياتها المفاهيمية والمنهجية فسعى لتأصيل أسس " منهج تحليلي إبستيمولوجي لنقد النقد " [37].

لقد ساهمت حداثة المجال المعرفي لنقد النقد وطبيعة فرضياته ومراميه في وقوع عدد من المهتمين به في ارتباك نقدي وهم يتحدثون عن رؤاهم المنهجية الخاصة في التعامل مع موضوعه بسبب تميز هذا الخطاب عن المناهج النقدية الخاصة بدراسة الأدب وتحليله، فطبيعة قراءته ترتبط بتشريح نقد الإبداع الأدبي لا بالإبداع ذاته فالمطلوب من ناقد النقد مراقبة اشتغال الخطاب النقدي باعتباره نصا تحليليا منجزا حول نص أدبي مقروء، غير أن هذا الارتباك الحاصل في تحديد طبيعة المنهج الذي يستند إليه نقد النقد لم يمنع عدد من الباحثين والنقاد من رسم خصوصية منهجية محددة له، إذ تعد رؤية الناقد حميد لحمداني من الرؤى النقدية المهمة التي حاولت الإحاطة بإشكالية المنهج الذي تتخذه قراءة نقد النقد كطريقة في التفكير تعتمد على " أسس نظرية ذات أبعاد فلسفية تحدد أدوات إجرائية دقيقة " [38].

يلاحظ متتبع هذا المسلك النقدي إستناده على اللغة الواصفة في تحليل الأعمال النقدية وتفسيرها باعتباره الطابع التحليلي المميز لهذه القراءة المخصوصة وهو الاختيار المنهجي الذي يمكن تبنيه لتحليل أي ممارسة قرائية تدخل تحت مجال نقد النقد، فقد ركز على ضرورة مراعاة الموقع الطبيعي لناقد النقد وهو التخلي عن تبني مناهج نقد الإبداع الأدبي والاشتغال في " الحقل الإبستيمولوجي الذي يستمد منه أدواته المنهجية ومفاهيمه،كما اشترط عليه الاعتماد على أداة الوصف والالتزام بموقف حيادي تجاه الاختيار المنهجي للناقد المدروس " [39] .

لا ينبغي لناقد النقد أن تسيطر عليه أفكار قبلية وهو يمارس قراءته بل إنه مطالب بأن يكون محللا ينظر إلى الخطاب النقدي كمعطيات فكرية ذات طبيعة منهجية معتمدا في هذا المسعى على تفسير موضوعي يستند وجوده في تفحص الأدب من خلال " إطار فكري يؤخذ من استعراض استقرائي للحقل الأدبي"[40]، تعبيرا عن حضور الطابع السببي والمنهجي الخاضع بالأساس إلى الدليل العلمي،كما أن نقد النقد مدعو إلى استخدام أداة الوصف كوسيلة منهجية أساسية لتكريس فعل التحليل من منطلق معرفي أن

الجانب الوصفي هو الاختيار الذي يمكن من " اقتحام عالم الاتجاهات النقدية وممارساتها التحليلية"[41] ، وهو الاختيار المنهجي ذاته الذي تبناه الناقد جابر عصفور عندما دعا إلى مراجعة النقد الأدبي وفحص إمكانياته التحليلية والإجرائية والمنهجية من خلال " الوصف ودقة المصطلح المعبر عن المفهوم " [42]لفاعلية هذا الاختيار في تكريس قراءة تحليلية ذات خلفية موضوعية يسعى نقد النقد لتصبح سمة قراءته.

تنطلق الرؤية التحليلية لأي باحث في مجال نقد النقد من تحديد أهدافها ومتنها وتتبع مدى احترام الناقد لمنطلقاته النظرية من خلال أداة الوصف كآلية نقدية تحليلية تكرس طبيعة القراءة التي يقوم عليها منهج نقد النقد بفضل ابتعادها عن الإسقاطات الذاتية، لأن الوصف يقتضي نقل الموضوع من " صورته اللغوية الأصلية إلى صورة لغوية ثانية تسعى لأن تكون مطابقة للأصل وإن تدخلت أحيانا في إعادة هيكلة عناصره ومستوياته " [43]

لقد فرضت خصوصية القراءة التي تبناها نقد النقد ألا تخرج المنطلقات المنهجية المعتمدة في هذا الخطاب النقدي عن الخيار المنهجي الوصفي التحليلي المرتبط " بالبعد الابستيمولوجي الذي يتجاوز حدود إعادة النص النقدي نفسه " [44]، وذلك بالسعي لتقديم قراءة تمتلك إستراتيجية تفسير تجعله يتحدد ككيان معرفي مخصوص بقراءة محايثة في تعامله مع مسارات الخطاب النقدي وتشكيلاته النظرية والمفهومية والمصطلحية وطبيعة منهجه .

لا يمكن إنكار استفادة منهج قراءة نقد النقد من بعض المعطيات المنهجية لمناهج النقد الأدبي نظرا لتقاطع أدواتهما التحليلية وخصوصيتهما المنهجية، وهو ما حققته طبيعة قراءتهما الوصفية التي تعد وفق بعض النقاد شرطا لعلمية أي منهج نقدي، فإذا كانت شروط القراءة ذات الطبيعة العلمية تتضمن كون المنهج وصفيا فهذا معناه أن " الوصفية قيمة أساسية لا يمكنه التخلي عنها وإلا فقد المنهج مشروعيته العلمية " [45] الأمر الذي جعل إمكانية استفادة قراءة نقد النقد من بعض الآليات التحليلية للمناهج النقدية أمرا علميا مقبولا، فقد استحضرت بعض أدواتها التي جعلها " تبرز طبيعتها وخصوصيتها وفي الوقت نفسه تتبعت ملامحها وسعت لإثرائها بإبراز محدودية تصوراتها " [46].

المطلوب من ناقد النقد تتبع مواصفات العملية النقدية لأي ناقد على اعتبار أنه يفصح عادة في مقدمات مشاريعه الكتابية عن ملامح التشكل النقدي لرؤيته المنهجية، وهي الملامح التي تفضي بالقدر ذاته إلى تشكل صورة الخطاب النقدي الذي " يشغله في إجراءاته النقدية ويشتغل عليه في تأسيس أركان الصورة النقدية للخطاب وإبراز شخصيتها " [47]، مثل ما تعبر عنه قراءة الناقد سعيد يقطين (تحليل الخطاب الروائي) الذي أعلن فيها عن تبنيه لمسلك منهجي ينطلق من " منهج السرديات البنيوية من

خلال الاتجاه البيوطيقي" [48] لتحليل عدد من النماذج الروائية العربية ، وهو ما سعى لتحقيقه تطبيقيا مستندا إلى إستراتيجية تحليل جمعت بين التنظير والتطبيق.

يعلن أغلب النقاد مسبقا في مقدماتهم النقدية عن المنهج المعتمد في القراءة التي يقدمونها في قراءة النصوص الأدبية لتبرير خصوصية التعامل مع تلك النصوص، فيحددون أهم خصائصه الفكرية وأدواته الإجرائية ، ليكون هذا المدخل المنهجي السند الفكري الذي يؤسس من خلاله ناقد النقد منهجيته التحليلية التي سيقارب بها موضوعه، لكن لا يجب أن يكون هذا التصور المعرفي مدخلا للوم الناقد الأدبي على "اختياره المنهجي غير أننا يجب أن نوظف جميع معارفنا عن المنهج المتبنى من أجل ملاحقة الناقد في جميع مراحل تقديم تصوره النقدي" [49]، توافقا مع طبيعة قراءة نقد النقد في تأمل الخطابات النقدية وتوضيح سماتها المنهجية ومرجعياتها النظرية التي يستند إليها الناقد الأدبي في قراءته للمضمرات الفنية للنصوص الأدبية وتوضيح أبعادها الفنية.

4 ـ خاتمة:

لقد ساهم الانقلاب المعرفي الذي مس المنظومة النقدية المعاصرة بتأثير من فكر ما بعد الحداثة، في ظهور ملامح نقد النقد الأدبي بصيغته الحداثية، إذ يعد رافدا نقديا يسعى لإدراك منظومة النقد الأدبي والتفكير في نشاطه ومساءلته مفاهيميا ومنهجيا وتتبع إجراءاته التحليلية وطبيعة قراءته والبحث عن مدى الانسجام بين الخلفيات النظرية للمنهج و طبيعة الممارسة التطبيقية له.

أما فيما يتعلق بمنهج قراءة نقد النقد الأدبي فتنطلق من فكرة أن القراءة التحليلية لأي باحث في مجال نقد النقد الأدبي تبدأ من تحديد أهدافها ومتنها وتتبع مدى احترام الناقد لمنطلقاته النظرية من خلال تبني تصور منهجي وصفي تحليلي يرتبط بالبعد الابستيمولوجي، وهو ما يجعل منهج القراءة الذي يؤسس لنقد النقد الأدبي يختلف من قارئ لآخر من حيث المرجعية النظرية واختلاف المنطلق المنهجي وطبيعة الممارسة التطبيقية الذي يترجم بدوره اختلاف الرؤية والأهداف النقدية المتوخاة من كل قراءة نقدية.

5 ـ الهوامش:

01. حميد لحمداني، (1990) سحر الموضوع (عن النقد الموضوعاتي في الشعر والرواية)، المغرب، دار سال، ط1، ص 7

02. نجوى الرياحي القسنطيني،(2009)، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 38، العدد 01، ص 35

03. أحمد بوحسن، (1991)، المصطلح ونقد النقد، المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ص 289

04. كمال عبد العزيز إبراهيم (2010)، نقد النقد رؤية في التنظير والمنهجية لدى القدماء، القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، ط1، ص 03
05. عبد الملك مرتاض،(2010)، في نظرية النقد، الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع، ص 227 – 228
06.خالد بن محمد بن خلفان السيابي،(2010)، نقد النقد في التراث العربي، الأردن، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، ص14
07. جميل حمداوي، (2009)، من الإبداع الروائي إلى نقد النقد، المغرب، منشورات الزمن، ص 7
08. جابر عصفور،(1991)، قراءة التراث النقدي، مصر، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ط1 ، ص 11
09. نجوى الرياحي القسنطيني،(2009)، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مرجع السابق، ص 35
10.نجوى الرياحي القسنطيني،(2009)، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره ، مرجع سابق، ص 37.
11.نجوى الرياحي القسنطيني،(2009) في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره ، مرجع سابق، ص 40- 41.
12.محمد مريني،(2008)، نقد النقد في المفهوم والمقاربة المنهجية، مجلة علامات في النقد، المجلد 16، الجزء 64 ، ص41.
13.باقر جاسم محمد،(2009)، نقد النقد أم الميتانقد(محاولة في تأصيل المفهوم)، مجلة عالم الفكر ، الكويت،المجلد 37، العدد 03، ص 118.
14.نجوى الرياحي القسنطيني،(2009)، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره ، مرجع سابق، ص 38 .
15. محمد باقر جاسم ،(2009)، نقد النقد أم الميتانقد(محاولة في تأصيل المفهوم).مرجع سابق، ص 118.
16. مارينو أدريان،(2008)، نقد الأفكار الأدبية، ترجمة محمد الرامي، مصر ،المركز القومي للترجمة، ط1، ص 26.
17.إنريك أندرسون أمبرت،(1991)، مناهج النقد الأدبي، ترجمة طاهر أحمد مكي، مصر، مكتبة الآداب، ط1، ص 66.

18. عبد الملك مرتاض،(2010) في نظرية النقد، مرجع سابق، ص 227-228
19. حميد لحمداني (2012.) الفكر النقدي الأدبي المعاصر (مناهج و نظريات ومواقف)،المغرب ، مطبعة أنفو-برانت، ط2، ص26- 27
20. حميد لحمداني، (1990)، النقد الروائي والأيديولوجيا(من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي)، لبنان،المغرب،المركز الثقافي العربي ، ط1، ص 122
21. محمد أمهاوش،(2008)، النقد المصطلحي الرؤية المفهومية والمنهجية، مجلة علامات في النقد، السعودية، النادي الثقافي الأدبي، المجلد 16، الجزء 64، ص 7
22 . Tzvetan Todorov(1984) .Critique de la critique (roman d'apprentissage)، FRANC. Ed Seuil.
23. عبد الملك مرتاض،(2003)، نظرية القراءة (تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية)،الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط1 ، ص3
24. حبيب مونسي،(2007)، نقد النقد (المنجز العربي في النقد الأدبي) دراسة في المناهج، ،الجزائر، منشورات دار الأديب، ص10
25. جابر عصفور، (1998)، نظريات معاصرة ، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 9
26. محمد باقر جاسم ،(2009)، نقد النقد أم الميتانقد(محاولة في تأصيل المفهوم)،مرجع سابق ، ص 121
27. إنريك أندرسون أمبرت،(1991)، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق ، ص67
28. أحمد بوحسن،(1991) المصطلح ونقد النقد، الرباط ،المغرب ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،ص 289 ـ 290
29. محمد الدغمومي،(2006)، نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب (مرحلة التأسيس)، المغرب، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، ص 174- 175 .
30. فاضل ثامر،(1994)، اللغة الثانية(في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث)، لبنان، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، ص17.
31. محمد والعيد،(2003 -2004) ، الخطاب النقد عند محمد شكري عياد، ديبلوم الدراسات العليا بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد الخامس، المغرب، ص3

32. حميد لحمداني(2012)، الفكر النقدي الأدبي المعاصر (مناهج ونظريات ومواقف) ، مرجع سابق، ص 18
33. مولاي أسليمان بحاري،(1997– 1998)، الخطاب النقدي عند لويس عوض بين التنظير والممارسة،رسالة الدراسات العليا ، بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد الخامس، المغرب، ص 20.
34. محمد برادة، (2005)، محمد مندور وتنظير النقد العربي، مصر، المجلس الأعلى للثقافة ، ط3، ص7
35. حميد لحميداني،(1989–1988) النقد الروائي العربي بين النظرية والتطبيق ، دكتوراه دولة بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط ، المغرب ، ج1، ص 24.
36. عبد العاطي الزياني،(2005)، نقد النقد وأبعاد التنظير النقدي، مجلة علامات في النقد، السعودية ،المجلد 14، الجزء 56، ص 126
37.محمد مفتاح ،(2000)، النص من القراءة إلى التنظير، المغرب شركة المدارس للنشر والتوزيع ، ط1، ص 91
38. سيد بحراوي،(1993)، البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، مصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، ص9
39. حميد لحمداني (1990) سحر الموضوع ، مرجع سابق ، ص 7. 8
40. نورثروب فراي،(1991) ، شريح النقد(محاولات أربع) ،تر، محمد عصفور، الأردن ، منشورات الجامعة الأردنية،، ص8
41. حميد لحمداني،(1989–1988)، النقد الروائي العربي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 27
42. جابر عصفور،(1998)، نظريات معاصرة، مرجع سابق، ص 292
43. حميد لحمداني، (1990)، سحر الموضوع، مرجع سابق، ص 5
44. حميد لحمداني، (1990) ، سحر الموضوع، مرجع سابق، ص 7
45. عبد الله الغذامي،(1987)، تشريح النص، لبنان ، دار الطليعة ، ط1، ص82
46. مولاي أسليمان بحاري،(1997– 1998)، الخطاب النقدي عند لويس عوض بين التنظير والممارسة مرجع سابق، ص 20.

47. محمد صابر عبيد،(2011) ، اللغة الناقدة (مداخل إجرائية في نقد النقد)، سوريا ، دار الحوار، ط1 ، ص 140.

48. سعيد يقطين،(1997) ، تحليل الخطاب الروائي(الزمن،الصيغة،التبئير)، لبنان،المغرب، المركز الثقافي العربي، ط3، ص7

49. حميد لحميداني، (1989-1988) ،النقد الروائي العربي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 27-286.